مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية
المجلد 18 العدد3 (السداسي الثاني 2026)
ص. 1173- 1204

عقيدة الجهاد في البحرية الجزائرية ودورها في نجدة مسلمي الاندلس خلال القرن ال16م

The doctrine of jihad in the Algerian navy and its role in aiding the Muslims of Andalusia during the 16th century

علي بن بادة [1]، أ. د سيد أحمد بن نعماني [2]

[1] جامعة الجزائر 1، كلية العلوم الإسلامية (خروبة)، مخبر مناهج البحث في العلوم الإسلامية
a.benbada@univ-alger.dz

[2] جامعة الجزائر 1، كلية العلوم الإسلامية (خروبة)، s.bennamani@univ-alger.dz

تاريخ الارسال:2026/06/14 تاريخ القبول: 2026 /08/15 تاريخ النشر:2026/09/28

ملخص:

تتناول هذه الدراسة دور عقيدة الجهاد في النشاط البحري الجزائري خلال القرن 16م، وإبراز أثرها في تطوير البحرية الجزائرية والرّفع من كفاءتها الدفاعية والهجومية ومساهمتها في إنقاذ مسلمي الاندلس بعد سقوط غرناطة عام 1492م، هؤلاء الذين تعرّضوا لشتّى أنواع الظلم والاضطهاد من قبل محاكم التفتيش الاسبانية، إذْ شكّل الجهاد نقطة ارتكاز اِنطلق منها البحارة الجزائريون وغيرهم من المجاهدين المسلمين لنجدة إخوانهم الموريسكيين، واعتبروه واجبا شرعيا والتزاما حضاريا ومهمة إنسانية نبيلة أَمْلَتْهُ عليهم رابطة الدين والانتماء الحضاري، متجاوزين بذلك تلك الاعتبارات العسكرية والاقتصادية ، لاسيما وأنّ الصراع عصرئذ كان يحمل بعدا دينيا واضحا وحادا في غربي الحوض المتوسط بين العالم الإسلامي الذي كانت تتزعمه الخلافة العثمانية ورأس حربتها المتمثل في الجزائر الاسلامية، والعالم المسيحي المتمثل في أوروبا النصرانية والتي كانت تتزعمه اسبانية الكاثوليكية.

الكلمات المفتاحية: عقيدة الجهاد؛ البحرية الجزائرية؛ الموريسكيين؛ الاخوة بربروس ؛ القرصنة الأوروبية.

* المؤلف المرسل

Abstract:

This study examines the role of jihad in Algerian maritime activity during the 16th century, highlighting its impact on developing the Algerian navy, enhancing its defensive and offensive capabilities, and contributing to the rescue of Andalusian Muslims following Granada's fall in 1492. These Muslims endured severe injustice and persecution under the Spanish Inquisition. Jihad became the focal point from which Algerian sailors and Muslim fighters launched efforts to aid their Morisco brethren, viewing it as a religious duty, a civilizational commitment, and a humanitarian mission rooted in shared faith and cultural affiliation. In doing so, they transcended purely military and economic considerations, particularly since the conflict carried a pronounced religious dimension across the western Mediterranean — between the Islamic world, led by the Ottoman Caliphate with Algeria as its spearhead, and the Christian world, represented by Catholic Spain.

Keywords: Doctrine of Jihad; Algerian Navy; Moriscos; Barbarossa Brothers; European Piracy.

1. مقدمة:

شكّل سقوط مدينة غرناطة عام 1492م نهاية للوجود الإسلامي الذي كان مزدهرا في شبه الجزيرة الايبيرية، وبداية لفصل مظلم من الاضطهاد والتنصير القسري الذي طال مئات الالاف من المسلمين والذي عُرف بمحنة الموريسكيين[1]، وفي خضم هذه الأزمة الإنسانية، برزت قوى إقليمية ومدن ساحلية في شمال إفريقيا كملجأ لهؤلاء الموريسكيين المضطهدين، كان أبرزها إيالة الجزائر، والتي لعبت بحريتها دورًا أساسيا ومحوريًا في إنقاذ ونقل آلاف المسلمين الفارين من بطش محاكم التفتيش[2]، وسياسات التنكيل الكاثوليكية.

يرمي هذا البحث إلى الكشف عن طبيعة العلاقة بين عقيدة الجهاد والنشاط البحري الجزائري، واستجلاء آثارها في حماية مسلمي الأندلس ونجدتهم، ولا سيما بعد سقوط غرناطة، من خلال مواجهة التوسع الإسباني ومحاولات فرض التنصير ومحو مقومات الهوية الدينية والحضارية للمسلمين.

تتفرع عن هذه الإشكالية الرئيسية تساؤلات فرعية تسعى للإجابة على: مفهوم عقيدة الجهاد في الشريعة الإسلامية ودورها في حماية بيضة الاسلام، طبيعة السياق التاريخي لسقوط غرناطة، وظروف وأسباب نشأة البحرية الجزائرية وارتباطها بالجهاد، وأبرز عمليات الإنقاذ، والتحديات التي واجهتها.

وللإجابة على هذه التساؤلات اعتمدنا على عدة مناهج منها: المنهج التاريخي لتتبّع تسلسل الأحداث وتطورها، والمنهج النقدي التاريخي في ردّنا على بعض الشبهات التي طالت الحضارة الإسلامية في هذا السياق أو التي أُلصِقَتْ بالجهاد البحري في تلك الحقبة، كما اعتمدنا على المنهج الوصفي التحليلي لوصف طبيعة الإسهامات وتحليل دوافعها وتحدياتها ونتائجها.

---

[1] الموريسكيون: وتعني (المسلمون الصغار) وهم المسلمون الذين بقوا في اسبانيا بعد سقوط غرناطة الإسلامية عام 1492م، وظلوا يمارسون شعائر الإسلام سرا بعد أن أجبرتهم السلطات الاسبانية على الاختيار بين اعتناق المسيحية أو الطرد من موطنهم خلال بداية القرن 16م، وقد أطلق عليهم الاسبان المسيحيون هذه التسمية تحقيرا واستصغارا لهم، للمزيد أنظر: جمال عبد الكريم، الموريسكيون تاريخهم وآدابهم، قسم اللغة الاسبانية وآدابها، مكتبة نهضة الشرق، جامعة القاهرة، ص06-13

[2] تأسست محاكم التفتيش في القرن 13 لمراقبة الأفكار المخالفة لتعاليم الكنيسة، وطبقت أولا في إيطاليا وفرنسا وألمانيا، قبل أن تنتقل الى اسبانيا، حيث تحولت إلى أداة قهر واضطهاد للمسلمين بعد سقوط غرناطة، للاطلاع أكثر يُنظر: علي مظهر، محاكم التفتيش في اسبانيا والبرتغال وغيرها، المكتبة العلمية، ص51-65.، أنظر أيضا: محمد رزوق، الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين (16-17م)، كلية الأداب والعلوم الإنسانية، الرباط، إفريقيا الشرق، ط3، 1998م، ص61-62، أيضا أنظر: علي منتصر الكتاني، انبعاث الإسلام في الاندلس، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط1، 2005م، ص65-70

2. مفهوم عقيدة الجهاد ودورها في حماية بيضة الإسلام:

2-1 مفهوم عقيدة الجهاد:

لغة: الجهاد من جهد يجاهد مجاهدة وجهادا[1]، وهو بَذْلُ واستفراغ ما في الوسع والطاقة من قول أو فعل لتحقيق شيء معين[2]

اصطلاحا: هو بَذْلُ الجهد من طرف المسلمين في قتال الكفّار المحاربين المعتدين، والمرتدين، والبغاة ونحوهم لإعلاء كلمة الحق وراية التوحيد[3]، وقد عرّفه آخرون على أنّه: بَذْلُ الوُسع في نشر الدعوة الإسلامية والدّفاع عنها[4]، وهو على ثلاثة أضرب: مجاهدة النفس، ومجاهدة الشيطان، ومجاهدة العدو الظاهر[5]، وهذا النوع الأخير هو ما يهم بحثنا، على أنّه لا يمكن للمرء مجاهدة عدوه الظاهر إلاّ إذا انتصر باطنا على أهواء نفسه وعلى وساوس الشيطان، وعلى حبّ الدنيا[6]، قال الله تعالى: **{والَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ}**[العنكبوت: 69]

2.2 حكم الجهاد:

وهو فرض على الكفاية فإذا قام به من يكفي سقط عن الباقين، وصار في حقِّهم سنّة، قال الله تعالى: **{وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ}** [التوبة: 122]، ويصير فرض عين في أربع مسائل: 1_ إذا حضر القتال، 2_ إذا حاصر بَلَدَهُ العدوُّ، 3_ إذا اِستنفره الإمام[7]،

---

[1] مركز تفسير للدراسات القرآنية، موسوعة التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، باب الجهاد، /20211.

[2] أنظر: راغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت -لبنان، ص101. أنظر أيضا: سعيد بن علي بن وهف القحطاني، الجهاد في سبيل الله في ضوء الكتاب والسنة، مؤسسة الجريسي، الرياض، ط6، 1431هـ، ص05.

[3] سعيد بن وهف القحطاني، مرجع سابق، ص05.

[4] حسن عز الدين الجمل، مخطوطة الجمل معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2003م، 1 /344.

[5] عبد الرؤوف بن المناوي، التوقيف على مهمة التعاريف، تحقيق: عبد الحميد صالح حمدان، عالم الكتب، 28 عبد الخالق ثروت، القاهرة، ط1، 1410هـ/1990م، ص133.

[6] أنظر: ابن قيم الجوزية، الفوائد، تحقيق: محمد عزيز شمس، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، ص82-83.

[7] موسى بن احمد الحجّاوي، زاد المستقنع في اختصار المقنع، تحقيق: محمد الهبدان، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، السعودية، ط2، 1428هـ، ص182.

4_ وأضاف الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في شرحه لزاد المُسْتَقْنِعْ الرابعة وهي: إذا أُحتيج إليه.[1]

3.2 فضله ودوره في حماية بيضة الإسلام:

لا شكّ أنّ الجهاد في سبيل الله من دعائم الدّين وفضائله، وقد قال صلّى الله عليه وسلم: (رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله)[2]، فبالجهاد القتالي يَحفظ المسلم حقوقه وكرامته وسلامة وطنه، فهو الدّرع الواقي للامّة من كل عدوان، وبه تُحفظ الضّروريات كلّها من حفظ الدّين والمال والنّفس والعقل والعرض وهذا من أعظم مقاصده، فهو كالدّواء الّذي يُلجأ إليه فرارا من عوارض الأسقام والأوجاع[3]، وقد جاء في فضله من النّصوص الشيء العظيم نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر : قول الله تعالى: **{فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا}**[النساء:74]، كما أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قد بيّن فضله في أحاديث كثيرة منها لمّا سُئل عليه الصلاة والسلام عن أفضل الأعمال، قال: (إيمان بالله ورسوله)، قال ثم ماذا؟ قال: (ثم الجهاد في سبيل الله)، قيل ثم ماذا؟ قال: (ثم حجّ مبرور)[4] فجعل النبيّ صلّى الله عليه وسلّم منزلة الجهاد تاليةً بعد الايمان بالله ورسوله وتابعةً له.

ومن فضائله أيضا أنّه يدفع النّفاق عن المؤمن كما بيّن نبيّنا صلّى الله عليه وسلّم في قوله: (من مات ولم يَغْزُ ولم يُحدِّث نفسه بغزو، مات على شعبة من النفاق)[5] فالمسلم الذي الذي لا يفكر في شعيرة الجهاد أو لا يحبها فهذه إشارة على وجود نُفرةٍ أو نفاق في قلبه.

---

[1] أنظر: محمد بن صالح العثيمين، الشرح الممتع على زاد المستقنع، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، السعودية، ط1، 1425هـ، 6/8-11.

[2] سليمان بن احمد الطبراني، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط2، 20/ 143.

[3] محمد سعيد رمضان البوطي، الجهاد في الإسلام كيف نفهمه وكيف نمارسه؟، دار الفكر المعاصر، بيروت- لبنان، دار الفكر، دمشق، سورية، ط1، 1414هـ/1993م، ص22.

[4] أحمد بن حنبل، مسند الامام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط1، 1421هـ/2001م، 1421هـ/2001م، 13/33.

[5] أحمد بن حنبل، المصدر السابق، 14/453.

ولهذا نلاحظ عبر مختلف حقب التّاريخ الإسلامي ومراحله أنّ المسلمين دأبوا على الدّفاع عن أوطانهم من كل عدوان، وصدّ الاعتداءات الخارجية الغازية، كما هبّوا أيضا للدّفاع عن المستضعفين من المسلمين في شتّى ربوع هذه المعمورة، ولا شكّ أن هذه المرحلة التي سندرسها وما تعرّض له المسلمون في الاندلس بعد سقوط غرناطة سيكون لها صدًى واسعا وردّة فعل إسلامية قوية، كتب سطورها مجاهدون أبرار، ضحّوا بالغالي والنفيس لمساعدة إخوانهم إخوة العقيدة والدين.

3. سقوط غرناطة وبداية محنة مسلمي الأندلس:

كانت مملكة غِرناطة[1] هي آخر ما تبقّى من مُلْكِ العرب وآخر معقل إسلامي في شبه الجزيرة الإيبيرية[2]، بعد أن تمزّقت دولتُهم وسقوط أكثر المدن الكبرى كطليطلة (1085م)، وسرقسطة (1119م)، وقرطبة (1236م)، واشبيلية (1248م) في أيدي الممالك النصرانية، حيث حكمها بنو النّصر[3]، واستمر حكمهم فيها حتى بداية عام 1492م، تميزت تلك المرحلة بالضعف السياسي وعدم الاستقرار والانقسامات الدّاخلية، خاصّة الصراع على وراثة الحكم الذي كان يتكرر بين أعضاء الاسرة الحاكمة، إذْ احتدم هذا الصراع مع بداية العقد الأخير من القرن الرابع عشر[4]، واستعانة أمراء غرناطة بالعدو الماكر المخادع في قتال بعضهم بعضا[5]، كل هذه العوامل وغيرها ساعدت على سقوط هذه المدينة البالغ عدد

[1] أسسها بنو نصر (629هـ/1232م-808هـ/1492م)، تقع جنوب الاندلس، وكانت تضم كل من جيان، وباجة، ووادي آش والجزيرة الخضراء، ومالقة، ولوشة والمرية وغرناطة العاصمة، وقد سقطت على ايدي القشتاليين سنة 808هـ/1492م، للمزيد أنظر: لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، شرحه وضبطه: يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1424هـ/2003م، /131-18.

[2] كانت تضم اسبانيا والبرتغال معا

[3] بنو النصر، أو النصريون: ويعرفون أيضا ببني أحمر وهم آخر أسرة عربية حكمت غرناطة، ويرجع نسبهم الى الصحابي سعد بن عبادة الخزرجي، أنظر: كلوس كريزر وبخرون، معجم العالم الإسلامي، ترجمة: الدكتور ج كتورة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 1411هـ/1991م، ص672-673.، أنظر أيضا: علي مظهر، مرجع سابق، ص15.

[4] مونتغمري وات، في تاريخ اسبانيا الإسلامية، ترجمة: محمد رضا المصري، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت-لبنان، ط2، 1998م، ص159

[5] عبد الله محمد جمال الدين، المسلمون المنصَّرون أو المورسكيون الاندلسيون، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1991م، ص21. حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والاندلس، دار الرشاد، القاهرة، ط4، 1421هـ/2000م، ص453

سكانها حوالي أربعمائة ألف نفس[1] بسهولة في أيدي ملوك الكاثوليك فرديناند الخامس وإيزابيلا[2].

وقد حوصرت المدينة مدة سبعة أشهر كاملة[3] والمسلمون يغالبون أهوال هذا الحصار، وتتفاقم محنتهم شيئا فشيئا حتى دبّ اليأس داخل قلوب عامة الناس[4]، فاضطرّ ملك غرناطة أبو عبد الله الصغير[5] إلى توقيع معاهدة الاستسلام[6] مقابل تعهد المَلِكين الكاثولكيين بدينهما وشرفهما الملكي، القيام بكل ما تحتويه هذه المعاهدة من نصوص وبنود، ويوقعانها باسميهما ويُمْهِرانها بخاتميهما، وعليها تاريخ احتلالها وهو يوم 25 نوفمبر 1491م[7].

[1] محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الاندلس (العصر الرابع: نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنصرين)، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، 1417ه/1998م، ص237.

[2] الملكان الكاثوليكيان: فرديناند الخامس (1452_1516م) ملك أراغون، وايزابيلا (1451-1504م) وريثة عرش قشتالة، تزوجا سنة 1469م وتم بذلك الزواج الجمع بين المملكتين، وتوحدت تبعا لذلك اسبانيا المسيحية في عام 1474م، أنظر: نعيمة بوحمشوش، مساهمة البحرية الجزائرية في الحروب العثمانية خلال القرن السادس عشر، القافلة للنشر والتوزيع، وزارة الثقافة الجزائر 2015م، ص39.

[3] مؤلف مجهول، نبذة العصر في أخبار ملوك بني النصر، ضبطه وعلق عليه: ألفريد البستاني، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد –الظاهر، ط1، 1423ه/2002م، ص39. أنظر أيضا: خليل براهيم السمرائي وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الاندلس، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت-لبنان، ط1، 2000م، ص301.

[4] محمد عبد الله عنان، مرجع سابق، ص240.

[5] هو أبو عبد الله (boabdil) محمد (الحادي عشر)، المعروف: بالغالب بالله، والملك الصغير، هو آخر ملوك غرناطة، كان حكمه للمرة الأولى من سنة (887-888ه) ثم ورثه عمه أبو الله محمد الزغل (الثاني عشر)، ثم عاد أبو عبد الله محمد (الحادي عشر) (للمرة الثانية) للحكم من سنة (892ه-897ه)، وقد استسلم وسلم غرناطة، آخر حصن إسلامي في الاندلس، للملكين الكاثوليكيين سنة (897ه/1492م) وبعد عام ترك الاندلس الى فاس وبها توفي عام 940ه، أنظر: أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر بيروت، 1408ه/1988م المجلد4، ص528-529. أيضا أنظر: عبد الرحمان علي الحجي، التاريخ الاندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة (92-897ه/711-1492م)، دار القلم، دمشق-بيروت، ط2، 1402ه/1981م، ص568.

[6] أنظر بنود ونص هذه المعاهدة في: عبد الله محمد جمال الدين، مرجع سابق، ص21-32. أنظر أيضا: علي منتصر الكتاني، مرجع سابق، ص55-56. وقد أورد صاحب نبذة العصر في أخبار ملوك بني النصر فقرات موجزة لهذه المعاهدة في جملة الشروط التي شرطها أهل غرناطة على ملك الروم، مصدر سابق، ص41. كما أوردها المقري في نفح الطيب حيث ذكر أنها جاءت في 67 بندا، مصدر سابق، المجلد 4، ص525-526

[7] محمد حسن العيدروس، العصر الأندلسي خروج العرب من الأندلس (التطهير العرقي وجرائم الإبادة الجماعية ضد المسلمين في إسبانيا)، دار العيدروس للكتاب الحديث موسوعة اسبانيا الإسلامية، القاهرة، ط1، 1433ه/2012م، ص52.

وقد نصّت هذه المعاهدة على حماية ممتلكات المسلمين، وعدم التعرّض لهم، واحترام دينهم وثقافتهم، وإبقاء الناس في أماكنهم ودورهم وعقارّهم، وأن تبقى المساجد كما كانت، ولا يُقهر أحد من المسلمين على ترك دينه إلى غير ذلك من بنود ذلك الاتفاق التي بلغت شروطه 67 شرطا[1].

ثُمّ ذُيّلت تلك المعاهدة مرة أخرى يوم 30 ديسمبر 1492م، -أي بعد عام من تسليم غرناطة- بتوكيد جديد يأمر فيه المَلِكان الكاثوليكيان إبنُهما الأمير وبقية وزراء وعظماء المملكة بالمحافظة على محتويات هذا الميثاق، وألاّ يُحاك ضدّه شيء، أو يُنقَض منه شرط، وقد أقسما بدينهما وشرفهما المَلَكي أن يحافظا على كل ما تحتويه المعاهدة بندا بندا إلى الأبد، وقد ذُيّل هذا التوكيد بتوقيع الملكين، وتوقيع إبنِهما الأمير وجمع غفير من الأحبار والأمراء والأشراف والعظماء[2]

هذا بالرغم من أنّ فيرناندو الكاثوليكي كان مشهورا بالغدر والخديعة فقد ذكر المؤرخ "ثويرتا" وهو من كبار المؤرخين الاسبان في القرن السادس عشر -نقلا عن الأستاذ عبد الله محمد جمال الدين- مكر هذا الملك، حيث قال: "وكان مشهورا –أي فرناندو الخامس- لا بين الأجانب فقط ولكن بين مواطنيه أيضا، بأنه لا يحافظ على الصدق، ولا يرعى عهدا قطعه، وأنه كان يفضل دائما تحقيق صالحه الخاص على كل ما هو حق وعدل"[3]

وفي أول عمل رسمي -دلّ على أنها كانت حرب دينية مقدسة ضد المسلمين-يقوم به النصارى بعد تَسَلُّمِهِم المدينة، قام الملكان الكاثوليكيان بعد دخولهما قصر الحمراء الكبير ومعهما الرهبان، قاما بتعليق صليب فضي كبير فوق برج القصر الأعلى، حيث أُعلن من فوق هذا البرج أن غرناطة غدت تابعة للحكم النصراني، وأن حكم المسلمين قد انتهى من بلاد الاندلس.[4]

---

[1] فريق البحوث والدراسات الإسلامية (فدا)، الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي، تقديم: راغب السرجاني، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة-مصر، ط27، 2014م، ص381. أنظر أيضا: أحمد رائف، وتذكروا من الاندلس الإبادة، ديوان المطبوعات الجامعية: 04-91، ص115.

[2] محمد عبد الله عنان، مرجع سابق، ص250.

[3] عبد الله محمد جمال الدين، المسلمون المنصّرون، مرجع سابق، ص33.

[4] راغب السرجاني، قصة الأندلس من الفتح إلى السقوط، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ط1، 1432هـ/2011م، ص688

ولأن الإيفاء بالعهود من صفات المؤمنين، وملوك قشتالة كانوا أبعد عن الايمان بفعل عقيدتهم المحرّفة، وحقدهم المعلن عن الإسلام، وكما أخبر الله تعالى عن المشركين وأعداء الإسلام عموما أنهم لا يراعون عهدا ولا أمانة، قال تعالى وكأنّه يصف حال ملوك قشتالة: **{كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ}** [التوبة: 8] وقال أيضا في مُحْكم تنزيله: **{لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ}** [التوبة: 10]

فإنّ ملوك الكاثوليك وبمباركة البابا في روما (ألكسندر بورجيا)[1]، ومواصلتهم لريكونكيستا[2]، فإنّهم وبعد سنوات قليلة من دخولهم المدينة قد نقضوا تلك المعاهدة بندا بندا، وتحولت الى حبر على ورق، وبدأت حملات التنصير القسري[3]، ومحاكم التفتيش التي ذاق منها المسلمون أنواعا لا توصف من العذاب والإذاية والظلم[4]، والتي طالت الألوف من المسلمين واليهود على حد سواء، فاضطر العديد منهم إلى الهروب أو الهجرة أو التخفّي أو اعتناق النصرانية تقيةً، وصدرت القرارات بتحويل المساجد إلى كنائس، ومصادرة الكتب الإسلامية وإحراقها، حتى قَدَّرت أحد المصادر عدد الكتب المتلفة والمحرقة إلى مليون

[1] هو البابا الكسندر السادس، تولى البابوية من (1492-1503م) لعب دورا كبيرا في التحريض على انهاء الوجود الإسلامي في الاندلس، وفرض ضريبة الصليب (crusada) على كل المسيحيين لتجريد حملة صليبية ضد المسلمين سواء في الاندلس أو في شمال افريقيا، وقد اشتهر بتقسيمه مناطق النفوذ في العالم بين اسبانيا والبرتغال، أنظر: بسام العسلي، خير الدين بربروس والجهاد في البحر (1470-1547م)، دار النفائس، بيرت، ط1، 1400هـ/1980م، ص58

[2] حروب الاسترداد، أو ما يعرف بحروب إعادة الفتح، وهي تلك الحروب التي أطلقتها الممالك النصرانية الاسبانية على الهجمات والحروب التي خاضتها ضد المسلمين في الاندلس، وكان الغاية منها انهاء الوجود الإسلامي ومحوه تماما من شبه الجزيرة الايبيرية، بمعنى إعادة شبه الجزيرة إلى المنظومة النصرانية وبالتالي فإن هذه الحروب أسست على أساس الانتقام والعدوان ونقض العهود والمواثيق، أنظر: بشير مبارك، "الحروب الصليبية على العالم الإسلامي: حركة الاسترداد في الأندلس نموذجا واثرها على المغرب الأوسط"، مجلة العبر للدراسات التاريخية والاثرية في شمال افريقيا، المركز الجامعي عبد الله مرسي تيبازة، المجلد05، ع.3، جوان 2022م، ص494-496.، كما يمكن الاطلاع أيضا على المقال: قاسم عبد سعدون الحسيني، "حركة الاسترداد (الريكونيكيستا) قراءة في المصطلح والمضمون"، جمهورية العراق، جامعة ميسان/ كلية الاسبانية التربية/ قسم التاريخ، مج.02، ع.5، مارس2020.

[3] فقط في مدينة غرناطة وضواحيها نُصِّر قسرا أكثر من 50 ألف شخص، أنظر: محمد زروق، مرجع سابق، ص60

[4] كان العذاب الذي يتعرض له المسلمون يتنوع ما بين إغراق وجرّ وربط وإدخال أسياخ وسحق عظام وسلخ جلود وتمزيق أطراف وفسخ فك وغيرها من ضروب العذاب أنظر: الكتاني، مرجع سابق، ص68.

وخمسة ألاف كتاب، أُستثني منها ثلاثمائة كتاب في الطب والعلوم[1] وكانت هذه الكتب والمخطوطات التي نُسِخت بخط اليد، كانت عصارة ما أنتجته الحضارة الاندلسية في ثمانية قرون.

وشرعت الكنيسة تُلاحق العائلات المسلمة من أصل نصراني والزج بها في السجون رجالا ونساء وأطفالا إنْ هم رفضوا التنصير، وصدرت القرارات تتلوها قرارات تمنع المسلمين التَّكلُّمَ أو القراءة أو الكتابة باللّغة العربية، وبطلان العقود المكتوبة بها، ومنعهم من حمل السلاح أو حيازته[2]، ولعلّ هذا ما عناه المقّري بقوله: "ثم إنّ النّصارى نكثوا العهد، ونقضوا الشروط عروة عروة، إلى أنْ آل الحال لحملهم المسلمين على التنصّر سنة 904هـ، ثم بعد هذا كلّه كان من أظهر التنصّر من المسلمين يعبد الله في خفية ويصلي، فشدد عليهم النصارى في البحث، حتى أنهم أحرقوا منهم كثيرا بسبب ذلك، ومنعوهم من حمل السكين الصغيرة فضلا عن غيرها من الحديد"[3]

وتحت تأثير وطأة الترهيب النفسي والجسمي والاكراه الديني اُضطرّ أهل غرناطة إلى اللجوء الى التقيّة يحتمون بها للحفاظ على دينهم مسترشدين بآراء واجتهادات علماء المغرب الذين كانوا يُنجدونهم بفتاويهم الفقهية التي تتناسب مع الوضع والنازلة التي يمرون بها، من بينها فتوى للشيخ أحمد بن بوجمعة المغراوي[4] مفتي مدينة وهران بالجزائر التي أرسلها إلى الأهالي الأندلسيين عام 910هـ/1504م.[5]

[1] اختلف المؤرخون في تقدير عدد الكتب المحرقة في باب الرملة، منهم من ذكر ما بين خمسة ألاف كتاب كحد أدنى ومليون وخمسة ألاف كحد أقصى، أنظر: محمد رزوق، الاندلسيون وهجراتهم إلى المغرب، مرجع سابق، ص58 هامش (23)

[2] محمد درّاج، الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس (1512-1543م)، دار قرطبة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1436هـ/2015م، ص46

[3] المقّري، مصدر سابق، ص528.

[4] هو محمد بن أبي جمعة الوهراني، كان عالما فاضلا متضلعا في علوم اللغة والاداب العربية، والحساب والرياضيات والفلك توفي عام 1504هـ، أنظر: يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، ج2، 1995م، ص208-209.

[5] أنظر نص الفتوى كاملة في انبعاث الإسلام في الاندلس للكتاني، (مرجع سابق)، ص71-72.

وبقدر استمرار محنة الموريسكيين التي طالت أكثر من قرن من الزمان من سنة (1493-1610م)، استمرت هجرتهم الى بلاد المغرب والمشرق الإسلاميين، حيث قُدِّر عدد الذين غادروا الاندلس مضطرّين في هذه الفترة نحو ثلاثة ملايين مهاجر، وكان عدد أفراد آخر هجرة نصف مليون مسلم، تفرق معظمهم في شمال افريقيا، ومنهم من تابع هجرته الى بلاد المشرق[1].

4. استغاثات الاندلسيين لملوك الإسلام:

وأمام هذا الوضع المزري وبعد أن فشلت كل ثوراتهم[2]، لم يجد مسلمو الأندلس وسيلة سوى الاستنجاد بإخوانهم المسلمين في بلاد المغرب والمشرق الإسلاميين لإنقاذهم من حرب الإبادة التي يتعرضون لها، فكانت هناك محاولات محتشمة لم تكن على قدر الاعانة المرجوة لأهل غرناطة، وباء أغلبها بالفشل سواء من بلاد المغرب المنقسم على حاله والذي كان يمر بظروف سياسية واقتصادية واجتماعية مزرية، أدت إلى خضوع بني وطاس لإسبانيا، وتضاعف النفوذ البرتغالي _الاسباني على الشواطئ المغربية كل هذا قد ساعد في استحالة القيام برد فعل حازم وفعّال[3]، وقد ذكر صاحب نبذة العصر شكوى أهالي غرناطة لأميرهم خذلان إخوانهم في بلاد المغرب في قوله: "إنّ إخواننا المسلمين من اهل عدوة المغرب بعثنا اليهم فلم يأتنا أحد منهم، ولا عرّج على نصرتنا واغاثتنا، وعدونا قد بنى علينا وسكن وهو يزداد قوة ونحن نزداد ضعفا، والمدد يأتيه من بلاده ونحن لا مدد لنا.."[4]

أما دولة المماليك المتنازعة مع الأتراك من جهة والبرتغاليين من جهة أخرى، والتي كانت في آخر عهدها[5] فلم تُفلح طُرُقُها الدبلوماسية لانجاد الأندلسيين، إذ استنجد سكان غرناطة بالملك الأشرف قايتباي (1468-1496م)، ثم كرّروا استغاثتهم بالملك قانصوه الغوري (1501-1516م)، حيث اكتفى الأول بإرسال سِفارة الى البابا والى الملكين الاسبانيين

[1] بسام العسلي، مرجع سابق، ص48.

[2] من بين الثورات نجد انتفاضة حي البيازين 1499م، وثورة البشرات الأولى 1501م، وثورة البشرات الثانية (1568-1571م)

[3] عبد الجليل التميمي، الدولة العثمانية وقضية الموريسكيين الأندلسيين، مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات، زغوان، تونس، ط1، 1981م، ص29.

[4] مؤلف مجهول، نبذة العصر، مصدر سابق، ص40

[5] تكبد المماليك خسارة فادحة مع البرتغاليين في معركة (ديو البحرية) عام 1509م، كما خسروا ضد العثمانيين في معركتي مرج دابق 1516م، والريدانية 1517م والتي على إثرها انتهى حكم المماليك البرجية

يهدّد فيها بأنه سوف يتبع سياسة التنكيل والمعاملة بالمثل لرعاياه المسيحيين المقيمين في دولته، ويمنع جميع طوائف الافرنج من دخول كنيسة القيّامة ويهدمها[1]، بينما أرسل الثاني وفدا الى الملكين الكاثوليكيين يُبَيّن لهما أنه سوف يجبر النصارى المقيمين في بلاده على الدخول الى الإسلام، لكنّ مَلِكا اسبانيا لم يريا في مطالب سلاطين مصر ما يحملهما على تغيير سياستهما، واكتفيا بإرسال سفرائهما الى مصر يطمئنان فيها سلاطينها[2]، فكان استنهاض ملوك مصر لإنقاذ الاندلسيين كما وصفه المقّري كمن يطلب بيْض الأنوق[3]

وأمّا الدولة العثمانية والتي كانت تُعد أقوى دولة إسلامية آنذاك، بل وأقوى دولة في العالم، فهي أيضا لم تكن بمنأى عن الصراعات الداخلية منها والخارجية، وقد كانت هناك اِستغاثات أندلسية، كان أولها سنة 1477ه في الوقت الذي كان يواجه فيه السلطان محمد الفاتح[4] حملة من تحالف صليبي ضمّ مجموعة من الدول الأوروبية منها البندقية والمجر ونابولي وفرسان القديس يوحنا والبابا، خسر على إثرها العثمانيون مدينة ازمير لصالح ذلك التحالف الصليبي،[5] فحالت هذه الظروف دون ارسال أي مدد أو معونة للأندلسيين.

ثم بعثوا بسفارة أخرى في عهد السلطان بايزيد الثاني (1481-1512م) وجاءت هذه الاستغاثة على شكل قصيدة شعرية معبرة عن وضع الأندلسيين غاية التعبير[6]، فكان ردّ بايزيد الثاني والذي عُرف بالتقوى والتديّن إيجابي[7]، حيث أرسل أسطولا بحريا بقيادة كمال كمال رئيس الى الشواطئ الاسبانية سنة 1486م[8] فقام بنهب وتخريب السواحل الاسبانية

[1] محمد بن اياس الحنفي، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق: محمد مصطفى، دار احياء الكتب العربية، القاهرة، ط1، 1406ه/1986م، 3/244-245.

[2] محمد دراج، مرجع سابق، ص56

[3] المقّري، مصدر سابق، 2/702.

[4] محمد الفاتح سابع سلاطين الدولة العثمانية (1451-1481م)، يكنى بأبي الفتوح إثر فتحه لمدينة القسطنطينية عام 1453م.

[5] سي عبد القادر عمر، التضامن العثماني مع مسلمي الأندلس، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال افريقيا، مج6، ع2،، جوان 2023م، ص96.

[6] أنظر نص القصيدة: المقّري، أزهار الرياض في أخبار عياض، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1358ه/1939م، ص 108-115.

[7] عبد الجليل التميمي، مرجع سابق، ص11.

[8] نيقولاي ايفانوف، الفتح العثماني للأقطار العربية (1516-1574م)، ترجمة: يوسف عطا الله، دار الفارابي، بيروت لبنان، ط1، 1988م، ص95.

والإيطالية ومالطا وأشرف بمهمة نقل أولى قوافل المهاجرين من المسلمين واليهود الى العاصمة التركية إستنبول[1]، إلّا أنّ جسارة كمال ريس وأسطوله لم يمنع سقوط غرناطة بأيدي القشتاليين عام 1492م.

وفي ظلّ هذه الأزمة الإنسانية قيّض الله للأندلسيين المغرب الأوسط التي كانت فيه قوة في طور التشكّل والتمكين، تزامنت هذه القوة مع الضعف التي كانت تعانيه الدولة الزيّانية (633-962هـ/1235-1554م)[2] والتي لم تعد تملك من النفوذ في المغرب الأوسط سوى مدينة تلمسان[3]، وبداية شروق وبزوغ شمس الاخوة بربروس[4] _(عرّوج وخير الدين)_ الدين)_ في الحوض المتوسط، وبظهور هذين الأخيرين تحوّلت الجزائر منذ بدايات القرن السادس عشر من قلعة ساحلية الى قاعدة عسكرية تَخْرُجُ منها الأساطيل المجاهدة للاغارة على الصليبيين ولإنقاذ الالاف من الموريسكيين، حيث قام عرّوج بنقل ما يزيد عن 10 ألاف موريسكي من السواحل الاسبانية، كما حمل منهم أخوه خير الدين ما يزيد عن 70 الف في سبعة أسفار أو يزيد[5] كما سيأتي.

---

[1] محمد دراج، مرجع سابق، ص58

[2] عُرفت بدولة بني زيان أو بني عبد الواد وهي فرع من قبيلة زناتة الكبيرة، أسسها يغمراسن بن زيان عام 1235م، واتخذت من تلمسان عاصمة لها، شهدت الاضطراب في معظم فتراتها ولم تعرف الاستقرار إلا في فترات قليلة بسبب موقعها المحصور بين الحفصيين شرقا والمرينيين غربا الذين ما فتئوا يتطلعون لبسط نفوذهم عليها، تم القضاء عليها وخلع آخر ملوكها من طرف صالح ريس سنة 1554م، أنظر: صالح فركوس، المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفينيقيين الى خروج الفرنسيين (814 ق.م-1962م)، دار العلوم للنشر والتوزيع، الحجار، عنابة، 1423هـ/2002م، ص71-77.

[3] تلمسان مدينة بالمغرب الأوسط، يتألف اسمها من كلمتين (تلم) بمعنى تجمع، و(سان) بمعنى اثنان، أي تجمع اثنين وهما الصحراء والتل، كانت عاصمة للمغرب الأوسط أكثر من ثلاثة قرون، ازدهر خلالها الفكر، وتطور العمران، واستهوت العديد من رجالات الفكر والسياسة والثقافة مما جعلها حاضرة في مختلف العلوم والفنون، أنظر: يحي بوعزيز، تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، وزارة الثقافة، الجزائر عاصمة الثقافة العربية 2007م، ص15-16

[4] عرف عروج وأخيه خير الدين بلقب بربروس بسبب لحية عروج الشقراء، أو لأن البحارة الأتراك كانوا يدعون عروج ب (بابا (بابا عروج) على سبيل الاحترام وبمرور الوقت حرفت الكلمة الى بربروس، للمزيد من الاطلاع عن حياة الاخوة بربروس وأصلهم ونشأتهم وغمارهم في البحر أنظر: محمد دراج، مرجع سابق، ص من 139-161.

[5] عبد الحميد بن أشنهو، دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر، دار الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 1392هـ/1972م، ص44.

5. ظروف وأسباب نشأة البحرية الجزائرية وارتباطها بعقيدة الجهاد وإنقاذها للموريسكيين:

من خلال دراستنا لهذه الفترة أي أواخر القرن 15م وطيلة القرن 16م، يمكننا القول أنّ حتمية تأسيس البحرية الجزائرية وتطورها كان كرد فعل مباشر على ثلاث أحداث غيّرت من واقع المنطقة، وقد لعب فيها وازعا الدّين والإنسانية دورا أساسيا، وكل حدث كانت فيه البحرية العسكرية تتطور وتزداد قوة من خلاله

1.5 الحدث الأول: فأوّل تلك الأحداث سقوط غرناطة 1492م وما تَلَتْهُ من تَبِعَات عانى فيها الموريسكيون شتّى أنواع الاضطهاد وأقسى أساليب التعذيب (كما رأينا سابقا)، مِمَّا كان لزاما على اخوانهم المسلمين _(إخوة العقيدة والدين)_ بتنشيط حركة الجهاد البحري، وتشكيل قوّة بحرية تساعدهم وتُنقذهم مِمَّا هم فيه من كرْب، مسترشدين بقول الله تعالى: **{وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا}** [النّساء: 75]

وفي هذا الصّدد يقول الدكتور ناصر الدين سعيدوني: "يُعتبر الجهاد البحري في الجزائر كرد فعل مباشر على التهديدات المسيحية التي اتخذت إثر سقوط الاندلس في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي شكل حملات صليبية تباركها الباباوات بروما وتزكيها الحكومات الأوروبية وتتزعمها اسبانيا الكاثوليكية التي بدأت تتدخل في شؤون الزيانيين في تلمسان، والحفصيين في تونس وتستولي على المدن الساحلية ..."[1]

وكما شكل سقوط غرناطة بداية التّاريخ الحديث لإسبانيا، فإنّه أيضا يمكننا اعتباره نقطة انطلاق وبداية تاريخ الجزائر في العصر الحديث، إذْ أسهم في وضع اللّبِنات الأولى لقوتها البحرية نتيجة اضلاعها المباشر في انقاذ مسلمي غرناطة وما ترتب عنه أيضا من آثار مباشرة على البلاد.[2]

[1] ناصر الدين سعيدوني، المهدي بوعبدلي، الجزائر في التاريخ (العهد العثماني)، وزارة الثقافة والسياحة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، 43/4.

[2] أنظر: نتائج سقوط غرناطة على الجزائر، محمد دراج، مرجع سابق، ص60-63.

فبعد أنْ حرر عرّوج مدينة جيجل من القراصنة الجُنَويين واستقرّ بها واتخذها كقاعدة عام 1514م[1]، تمكّن من تكوين جيشا منظما مدعوما بأهالي المنطقة وقبائل كُتامة التي بايعته أميرا عليها، وعاهدته على دعمه والسير من ورائه الى ميادين القتال والجهاد لإنقاذ المدن الإسلامية، ومعزّزا برجال الدّين والشيوخ والعلماء الذين ما فَتِئُوا يَحُضُّون على الجهاد في سبيل الله ومقارعة الاعداء، حتى شملت فكرة الجهاد وقتال الكفّار المعتدين جميع نواحي تلك البلاد[2] قال الله تعالى: **{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ}**[الأنفال: 65]

وفي تلك الفترة تعالت نداءات الاستغاثة من الموريسكيين طلبا للنجدة والانقاذ، فتوجه خير الدين بالاتفاق مع أخيه عروج على رأس قوة بحرية وما استطاع أن يجمعه من السفن ملبيا تلك الاستغاثة، فانقضّ على جزائر البليار التي كانت تحت الحكم الاسباني، واحتلّ مينورقة وأسر عددا من أهلها الاسبانيين، وأنقذ ما أمكن انقاذه من الموريسكيين، ثم رجع الى قاعدته في مدينة جيجل[3]

ولأنّ الحرب الصليبية التي كانت تقودها اسبانيا النصرانية آنذاك كانت بالدرجة الأولى حربا عقائدية بين الصليب والهلال، فإنّها لم تتوقف بمجرد سقوط غرناطة وإخراج المسلمين منها، بلْ تعدّت الى شمال افريقيا، ويظهر ذلك جليّا في وصِيّة الهالكة ايزابيلا الكاثوليكية (ت1504م)، حيث أوصت قبل وفاتها بأنْ لا يتوقف الفتح عن شمال افريقيا وألّا يكُفَّ النصارى عن القتال في سبيل الدين ضدّ الكفار[4]، لاسيّما وأن شمال افريقيا كانت من قبل مركز تحرُّك المسلمين صوْب الاندلس، وأنّ النفوذ البيزنطي كان مسيطرا عليها قبل فتحها من طرف المسلمين، فاحتلال شمال افريقيا كان امتدادا لحروب الاسترداد (الريكونكيستا) التي أطلقها النصارى في الاندلس[5].

---

[1] علي آجقو، الدولة الجزائرية الأولى (pea) 1514-1830م دراسة مؤسساتية، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية لجامعة باتنة، .02u، 1994م، ص141.

[2] بسام العسلي، مرجع سابق، ص90.

[3] المرجع نفسه، ص90.

[4] أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا (1492-1792م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص80.

[5] عبد العزيز محمد الشناوي، الدولة العثمانية (دولة إسلامية مفترى عليها)، مكتبة أنجلو المصرية، القاهرة، 178/2.

وقد لعب الكاردينال المتعصّب خمينيس[1] دورا بارزا في الحملة التي كانت على بلاد المغرب الإسلامي، كيف لا، وهو الذي اشتهر بقسوته في إبادة المسلمين في الأندلس وأحرق كتبهم في باب الرملة، وكان هو المحرض الأساسي لاحتلال مدن بلاد المغرب الإسلامي بُغية تنصير أهلها وإعادتهم الى عقيدة التثليث، قال الله تعالى: **{إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا}** [الكهف: 20]

ولتعصّبه الشديد -أي خمينيس-فإنه قد نال التقدير والاحترام من مؤرخين متعصبين مثله كالجاسوس الفرنسي "لويس ادريان بربروجر"[2] وهو أحد رواد المدرسة التاريخية الاستعمارية، إذْ نُقل عنه اِشادته بهذا الراهب لأنه أنقذ شمال افريقيا من الوحشية الإسلامية، لكي تنتصر فيها المسيحية والحضارة[3] !!

ومن العَجَبِ العُجاب أنْ يصف هذا الجاسوس الفرنسي المسلمين بالوحشية، ويثبت للمسيحيين الحضارة، وينسى أو يتناسى أنّ هناك بَوْنا كبيرا بين فتح المسلمين لشمال افريقيا أو للأندلس، والشواهد الحضارية والعلمية التي تركوها في كلا القُطْرَيْنِ، (إنّ آثارنا تَدُلُّ علينا .. فانظروا بعدنا إلى الآثار)، وبين الاحتلال الأوروبي الغاشم الذي دمّر البلدان وأفسد فيها الحياة وأخّرها قرونا عديدة، كما شهدت بذلك الوقائع التاريخية، وكما شهد بذلك أيضا المستشرقون الغربيون المنصفون بعُلُوِّ كَعْبِ الحضارة الإسلامية وفضلها على أوروبا، على طريقة قول الشاعر (وشمائل شهد العدوّ بفضلها .. والفضل ما شهدت به الأعداء)، نستحضر في هذا الشأن شهادة مواطنه المستشرق الفرنسي "جوستاف لوبون" في كتابه حضارة العرب قوله: "إنّ جامعات الغرب لم تعرف لها مدّة خمسة قرون موردا علميّا سوى مؤلفات العرب، وأنّهم هم الّذين مدّنوا أوروبا مادّة وعقلا وأخلاقا، وأنّ التّاريخ لم يعرف أمّة أنتجت ما أنتجوه في وقت قصير، وأنّه لم يَفُقْهُم قوم في الابتداع الفني"[4]

[1] أنظر: بسام العسلي، مرجع سابق، هامش 1، ص45.

[2] كمال بن صحراوي، معجم المقاومة الجزائرية (منذ بداية الاحتلال الفرنسي حتى منتصف القرن 19م)، منشورات الفا للوثائق، قسنطينة، الجزائر، ط1، 2020م، ص53-54

[3] أحمد توفيق المدني، مرجع سابق، ص82.

[4] جوستاف لوبون، حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، ص30.

كما يصف المستشرق الإنجليزي "جوزيف ماك كيب" في كتابه مدنية المسلمين في اسبانيا، حالة أوروبا النصرانية في القرون الوسطى وما عاشته من تخلف وجهل في الوقت التي كانت تُعَدُّ فيه الاندلس منارةً للعلم وكعبة حضارة، حيث يقول: "وعلى هذا نقول أنه يتعذّر أن يوجد فلاح أندلسي لا يعرف القراءة والكتابة، في حين كان ملوك بقية أوروبا لا يقدرون أن يكتبوا أسماءهم في توقيعاتهم، وكذلك أشراف الروم من أعلى الطبقات لم يكونوا يقتدرون على القراءة والكتابة، وتسع وتسعون في كل مائة من أهل الممالك النصرانية كانوا أميين تماما...وكانوا على غاية من الجهل لا يمكن تصورها"[1]

وهناك العديد من الشواهد والشهادات الغربية يمكننا الاستدلال بها إلّا أنّ المقام لا يتّسع لذكرها جميعا، والتي تؤكد لاريْب بُطلان مزاعم المغرضين والحاقدين بشأن تفوّق المسلمين على غيرهم من الأمم في شّتى المجالات ومختلف الميادين، وهذه الشواهد كلّها تُبيّن لنا -عكس ما يدّعيه الجاسوس "بربروجر"- أنّ الفتح الإسلامي الذي قام به المسلمون كان عبارة عن ديانة تنتشر وعقيدة تتوغّل وتتغلغل، فتبْني الحضارة وتنهض بالأمم، بينما الاستعمار الصليبي فإنه كان عبارة عن أرضٍ تُحْتَل، وشُعوبٌ تُسْتَعبد، وموارد وثروات تُسلَب وتُنهَب.

وعلى غرار هذا المستشرق الفرنسي "بربروجر" الذي سعى إلى إضفاء صفة الوحشية للحضارة الإسلامية، فإنّه قد درج عدد من المؤرخين والكتّاب الغربيين قبله وبعده على وصف الجهاد البحري الذي اضطلع به المجاهدون الجزائريون، "باللصوصية" أو "القرصنة"، وقد جاء هذا التوصيف برؤية تاريخية منحازة وغير منصفة تهدف الى تشويه طبيعة ذلك النشاط البحري وإصباغه بصبغة السلب والنهب، وتجريده من أبعاده الدينية والإنسانية والدفاعية أيضا .

[1] جوزيف ماك كيب، مدنية المسلمين في اسبانيا، ترجمة: محمد تقي الدين الهلالي، مكتبة المعرف للنشر والتوزيع، الرباط، ط2، 1405هـ/1985م، ص85.

والمُنصف الذي يدرس ويتتبّع مسرح الأحداث في غربي بحر المتوسط خلال القرن 16م، يُدرك يقينا أنّ العمليات العسكرية والجهاد البحري الذي قام به البحارة (المجاهدون) الجزائريون، وغيرهم من البحارة المتطوعة من أتراكٍ وعربٍ وبقية المسلمين، ما هو إلّا نشاط هدفه الدّفاع عن المسلمين وعن السواحل الإسلامية التي كانت عرضة لغارات القراصنة الصليبيين، والمساهمة في إنجاد المسلمين في الاندلس كما سيأتي، والثأر من الدول والممالك المعادية عبر استهداف سفنها وسواحلها، ولم يلبث هذا الصراع الى أنْ تطوّر و أخذ بُعدا دوليا شمل جميع الجبهات بين الدولة العثمانية التي كانت تُمثل العالم الإسلامي آنذاك وتتزعمه، ورأس حربتها الذي كان يتمثل في الجزائر، وبين أوروبا النصرانية والتي كانت على رأسها إسبانيا الكاثوليكية

كما أنّ مدلول مصطلح القرصنة كان يحمل معنى ازدرائيا ومُحقّرا، إذْ كان ينحصر هدفه في السلب والنهب والاستيلاء على الغنائم، ومهاجمة البواخر والسواحل واسترقاق الأسرى، وهذا بالدرجة الأولى ما تميز به القراصنة الأوروبيون قبل أي اعتبار أخلاقي أو إنساني، على عكس البحارة المسلمين فإنّهم قد تميّزوا بالعقيدة والايمان الرّاسخ الذي كان يُوَجّهُ نشاطهم[1]

ونذكر على سبيل المثال ما يدُلُّ ويُؤكد على أنّ النشاط البحري الذي مارسه البحارة المسلمون أنّه كان يعدّ من أعمال الجهاد في سبيل الله، هو التزامهم بتعاليم الدين الإسلامي في توزيع غنائم الحرب، إذ كانوا يُؤَدُّون خُمس ما يغنمونه لخزينة الدولة التي يتبعون لها، بينما تُقسَّم باقي الغنائم على بقية المقاتلين المشاركين في الغزو وفق أحكام الفقه الإسلامي، ومن الاوضح الأمثلة على ذلك الاتفاق الذي أبرمه الإخوة بربروس مع السلطان الحفصي أبي عبد الله الثاني على أن يسمح لهم بالرسو في ميناء حلق الوادي التونسي مقابل أن يدفعوا له خمس الغنائم التي يغنمونها، وهذا عملا بالآية الكريمة، قال الله تعالى: **{وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}** [الانفال، 41]

[1] عبد الجليل التميمي، مرجع سابق، ص08.

وتجدر الإشارة أيضا إلى أنّ القرصنة كانت شكلا من أشكال الحرب والصراع بين القوى المتنافسة خلال ذلك العصر، وإحدى مزاياه، وكانت منتشرة في جميع أنحاء المتوسط، ولم تقتصر على الجزائر التي يتهمها بذلك معظم الباحثون الأوروبيون فحسب، وهذا وفق ما ذكره المؤرخ الفرنسي "فرناند بروديل" الذي أكّد على أنّها كانت من طبيعة ذلك الوقت ومن سماته حتى عهد الملك الفرنسي لويس الرابع عشر (ت1715م)[1]

ومِنْ ثَمَّ، فإنّ الحُكْم على النشاط البحري الجزائري خلال ذلك العصر يَظَلُّ حبيسا للزاوية التي يُنظر من خلالها إليه، فبينما يعدُّه بعض المؤرخون الاوربيون قرصنةً أو لصوصية بحرية -(رَمَتْنِي بِدَائِهَا وانْسَلَّت)-، تذهب المصادر العربية والإسلامية إلى اعتباره شكلا من أشكال المقاومة البحرية، وجهادا ضد التوسع الصليبي وإنقاذا إنساني شمل عنصر المسلمين وغيرهم.

2.5 الحدث الثاني: احتلال اسبانيا للسواحل الجزائرية:

أفْضَت هذه الروح الصليبية المفعمة، الى الحدث الثاني والذي بدوره أدّى إلى حتمية تأسيس قوة بحرية جزائرية، وهو احتلال اسبانيا معظم سواحل الجزائر، حيث تم احتلال المرسى الكبير في شهر اكتوبر 1505م، وقتل الاسبان خلالها أربعة ألاف مسلم وأسروا ثمانية ألاف آخرين[2]، وأُخضعت مدينة تنس عام 1507م، وكان احتلال مدينة وهران في شهر ماي 1509م، وبجاية يوم 06 جانفي 1510م، وخضوع مدينتي الجزائر ومستغانم عام 1511م[3]، واحتلال دلس وعنابة وهنين عام 1531م[4]، كما فرض الاسبان الجزية (الضرائب) على سكّان هذه المدن الساحلية[5]، وهكذا فقد كان معظم الساحل الجزائري غربا وشرقا ووسطا تحت وطأة هذا الاحتلال إمّا عن طريق استعمال القوة العسكرية كما حدث في

[1] فرنان بروديل، المتوسط والعالم المتوسطي في عهد فيليب الثاني، ترجمة: مروان أبي سمرا، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ط1، 1413ه/1993م، ص151-152.

[2] عبد العزيز الشناوي، مرجع سابق، ص178.

[3] محمد دراج، مرجع سابق، ص97-110، وأنظر أيضا: بسام العسلي، مرجع سابق، ص59-69.

[4] صالح فركوس، مرجع سابق، ص75.

[5] خضوع بني زيان للاسبان واعتراف (أبو حمو الثالث) بتبعيته وخضوعه للحكم الاسباني وتقديم جزية سنوية، أنظر: بسام العسلي، مرجع سابق، ص67.

المرسى الكبير ووهران وبجاية، أو عن طريق التبعية والاخضاع كما حدث في مدن كتنس والجزائر ومستغانم.

من هنا كان لابدّ من حتمية التصدّي ودفع الصائل، لذلك قام سكان مدينة الجزائر وأعيانها في سنة 1516م، بالاتصال بإخوانهم المسلمين (الإخوة بربروس) في جيجل، لإنقاذهم من الاسبان الذين كانوا متحصّنين في قلعة البنيون المحاذية لساحل مدينة الجزائر[1]، وما كان على عروج كعادته سوى تلبية النداء خاصة وأنه قد أخذ على عاتقه إعانة المسلمين وتصفية الوجود الصليبي من بلادهم، وكما قال النبيّ صلى الله عليه وسلّم: (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ..) والخذلان كما جاء في شرح الحديث النبوي هو ترك الإعانة والنصرة، ومعناه: إذا استعان به في دفع ظالمٍ لزمه إعانته إذا أمكنه ولم يكن له مانع شرعي[2]

وعليه فإن بابا عروج دخل مدينة الجزائر واستقبله أهالي المدينة وأعيانها استقبال الفاتحين، ورحّبوا به ترحيبا حارا وحَذَوْا حَذْوَ أهالي مدينة جيجل وبجاية –حيث انضم اليه في حصاره الأول لبجاية حوالي 20 ألفا من المتطوعة الجزائريين[3]-، فوعدوه بالوقوف بجانبه، وشارك معه مع دخوله مدينة الجزائر أكثر من خمسة الاف شخص لقتال الاسبان، كما بعث بِسِتِّ عشرة سفينة مثقلة بالمدفعية والذخيرة مع نصف جنوده الآخرين بحرا[4].

وبالرغم من أنّ بابا عرّوج لم يحصل له شرف تدمير حصن البنيون بسبب ضعف مدفعيته ومتانة ذلك الحصن[5]، وتعرّضه أيضا لتمرد سالم التومي[6]، إلّا أن إندماجه

[1] حصن البنيون عبارة عن قلعة بنيت فوق جزيرة صخرية تبعد حوالي 300 متر عن ساحل الجزائر، أنظر: عزيز سامح التر، الاتراك العثمانيون في افريقيا الشمالية، ترجمة: محمود علي عامر، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1409هـ/1989م، ص50.

[2] ابن دقيق العيد، شرح الأربعين النووية في الاحاديث الصحيحة النبوية، مؤسسة ريان، ط6، 1424هـ/2003م، ص117.

[3] عزيز سامح التر، مرجع سابق، ص48.

[4] عزيز سامح التر، مرجع سابق، ص50-51.

[5] المرجع نفسه، ص52.

[6] عن ثورة سالم التومي وإعدامه، أنظر: شارل أندري جوليان، تاريخ افريقيا الشمالية، ترجمة: محمد مزال والبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، تونس، ط4، فيفري 1983م، 327/2. /سامح التر، مرجع سابق، ص52-53/ أحمد توفيق المدني، مرجع سابق، ص174-175.

وإلتحامه مع سكان مدينة الجزائر مكّنه من تكوين جيش قوي كان سواده الأعظم من أهل الجزائر وأبنائها، حيث كانت تبلغ نسبتهم على الدوام من 80 إلى 90 بالمائة من مجموع أفراد الجيش كله[1]، والذين التحقوا به عن قناعة وإيمان بعدالة قضيته في مواجهة الاحتلال الصليبي، خاصة وأن إسبانيا عصرئذ كانت تمثل كافة الأمّة النصرانية، بل وكانت مدعومة من طرف البابا نفسه وملوكها كانوا يستفيدون من ضريبة الصليب لحرب المسلمين، لذا فإنّ الاخوة بربروس والأهالي أدركوا أهمية أن يكونوا لحمة واحدة في مواجهة هذا المحتل الغاشم، قال الله تعالى: **{وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ}** [التوبة: 36]، وقال أيضا في محكم تنزيله: **{وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ}**[الأنفال: 46]

وبهذه العقيدة الراسخة أيْ عقيدة توحيد الصفوف وإقامة جبهة مُوَحّدة، بايع الجزائريون عروجا أميرا للجهاد وسلطانا على الجزائر، فصكّ العُملة وحصّن المدينة، وعمل على تقوية وتنشيط القوة العسكرية البرّية منها والبحرية، واستطاع بعد فترة يسيرة من إخماد التمرّدات وصد حملة اسبانية سنة (1516م)[2]، كما عمل هو و أخوه خير الدين على تحرير مدينة تنس سنة 1517م[3]، وتمكّن أيضا من تحرير مدينة تلمسان قبل أن يستشهد هو ورفاقُه رحمهم الله في منطقة وادي المالح سنة 1518م[4]، وبهذا فقد ترك عروج دولة قوية شملت حتى استشهاده مناطق الوسط الجزائري ممتدة من جيجل شرقا حتى مستغانم غربا ومن البحر شمالا حتى المدية جنوبا[5]

[1] نيقولاي ايفانوف، مرجع سابق، ص101.

[2] أنظر تفاصيل الحملة في: تاريخ الجزائر العام، عبد الرحمان الجيلالي، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية بن عكنون، الجزائر، ط7، 1415ه/1994م، 3/ من 40-42

[3] المرجع نفسه، ص42.

[4] وقع خلاف في المكان الذي استشهد فيه عروج، أنظر: بوشنافي محمد، مساهمة عروج بن يعقوب في مواجهة الخطر الاسباني على المغرب الأوسط (1512-1518م)، مجلة عصور، العدد 5/4، ديسمبر 2003م/ جوان 2004م/ 1425/1424ه، ص259.

[5] محمد دراج، مرجع سابق، ص202.

3.5 الحدث الثالث: الحاق الجزائر بالخلافة العثمانية:

إنّ الحاق الجزائر بالخلافة العثمانية مَكّنها من تطوير قوتها العسكرية وبالأخص تِرْسَانَتُهَا البحرية، حيث كان الحوض المتوسط عهدئذ مسرحا لحروب وجودية بين الهلال والصليب، فالأول كان بقيادة الدولة العثمانية والثاني تقوده اسبانيا الكاثوليكية، ولِمَ ما كان للبحر من فضلٍ في الجهاد كما جاء عن نبيّنا صلّى الله عليه وسلم: (غزوة في البحر خير من عشر غزوات في البرّ، ومن أجاز البحر فكأنما أجاز الأودية كلها، والمائد فيه كالمتشحّط في دمه)[1]، وقوله صلّى الله عليه وسلم: (المائد في البحر الذي يصيبه القيء له أجر شهيد والغرق له أجر شهيدين)[2]، فإنّ المجاهدون قد وعوا هذا الشرف فكانت ايالة الجزائر الاسلامية هي رأس الحربة والطليعة في مواجهة النصارى في غرب ذلك الحوض، إذْ جعلت من البحر ميدانا للجهاد في سبيل الله وإعلاء كلمته، فأرعبت اسبانيا وجميع ممالك أوروبا حتى غدت تُعرف "ببلد الجهاد" وعلى مؤسساتها البحرية ب"أكبر مدارس الإسلام البحرية"[3]

وبفضل هذه السمعة التي اكتسبتها أصبحت الجزائر في نظر الموريسكيين الخيار الامثل والملاذ الآمن والحليف الناصر الذي يمكن اللّجوء اليه بعد نكبتهم، وهذا نظرا لفعالية تحرك أسطولها البحري في الحوض المتوسط الغربي، إضافة إلى كثرة رياسها وبحارتها الذين واجهوا الأسطول الاسباني بقوة وكفاءة.[4]

فقد تمكّن هؤلاء البحارة الجزائريون في الفترة الممتدة من (1528-1584م) أن يُثبتوا كفاءتهم البحرية وقدرتهم التنظيمية العالية من خلال تنفيذهم ثلاث وثلاثين غارة بحرية ناجحة على السواحل الاسبانية، ومن أبرز هذه الغارات الحملة التي قادها القائدان آيدن رايس وصالح رايس عام 1529م[5] بتكليف مباشر من طرف البايلرباي[6] خير الدين بربروس

---

[1] جلال الدين السيوطي، الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 197/3.

[2] ابن حجر العسقلاني، هداية الرواة إلى تخريج أحاديث المصابيح والمشكاة، تخريج: محمد ناصر الدين الالباني، تحقيق: علي الحلبي، دار ابن عفان، القاهرة -مصر، ط1، 1422ه/2001م، ج4، ص18.

[3] علي آجقو، مرجع سابق، ص147.

[4] حنيفي هلايلي، بنية الجيش الجزائري خلال العهد العثماني، دار الهدي، عين مليلة -الجزائر، ط1، 1428ه/2007م، ص114.

[5] نلاحظ أيضا أن في هذه السنة (1529م) تمكن خير الدين من تحطيم الحصن الاسباني والذي فشل في تدميره عروج عام 1516م وهو حصن البينيون (برج الفنار).

[6] منصب البايلرباي هو أرفع المناصب السياسية في الدولة العثمانية والذي كان بمثابة نائب السلطان على منطقة ما، وقد تقلد خير خير الدين هذا لمنصب منذ الحاق الجزائر بالدولة العثمانية سنة 1519م.

والتي مثلث نموذجا فريدا لتعاون القيادة العسكرية الجزائرية في خدمة القضايا الإسلامية والإنسانية، إذْ تمكّن هذان القائدان من اجلاء ما يقرب عن 600 موريسكي من نواحي بلنسية كانوا قد لجأوا الى مصب نهر اوفيلا (ovila) يحتمون به من بطش الاسبان لِيُنْقَلوا بعد ذلك الى الجزائر.[1]

وفي إطار هذه المساعي الإنسانية وتجسيدا لروح التضامن الإسلامي فقد ذكر الكاتب التركي حاجي خليفة -(كاتب جلبي)- أنّ خير الدين بربروس استطاع خلال تلك الفترة وفي سبع حملات نقْل ما يقرب عن 70 ألفا من الموريسكيين الى السواحل الجزائرية حتى كان أغلب سكان الجزائر أندلسيون[2]، فصار نقل هؤلاء المهاجرون الاندلسيون عقب كل غارة على السواحل الاسبانية أمرا معتادا ومألوفا.[3]

وجرّاء تلك المساعدات المتكررة والغارات المتتالية التي قامت بها البحرية الجزائرية والتي قضّت مضجع الاسبان، بل ومضجع كلّ أوروبا النصرانية، فقد تعرضت الجزائر لحملة شرسة قام بها الامبراطور الاسباني شارلكان الخامس[4] عام 1541م[5]، إلاّ أنها وبفضل وبفضل الله عزّ وجلّ قد باءت بالفشل، إذْ تعرّض الاسطول الاسباني لخسارة فادحة في العتاد والأرواح، حيث خلّفت المعركة فقدان هذا الاسطول أكثر من 150 سفينة، وهلاك أكثر من 10 ألاف جندي، وتمكّن المجاهدون -بقيادة حسن آغا[6]- عقب انسحاب المهزوم

[1] ناصر الدين سعيدوني، المهدي بوعبدلي، مرجع سابق، ص44.

[2] حاجي خليفة، تحفة الكبار في اسفار البحار، تحقيق وترجمة: محمد حرب وتسنيم حرب، دار البشير للثقافة والعلوم، ط1، 1438ه/2017م، ص101.، أنظر أيضا: عبد الجليل التميمي، رسالة من مسلمي غرناطة الى السلطان سليمان القانوني 1541م، المجلة التاريخية المغربية، العدد3، تونس، جويلية 1975م، ص39.

[3] محمد دراج، مرجع سابق، ص244.

[4] لمعرفة من هو شارلكان أنظر ترجمته: نعيمة بوحمشوش، مرجع سابق، تهميش 2، ص38.

[5] تعتبر هذه الحملة هي الحملة الاسبانية الرابعة على مدينة الجزائر في القرن 16م، إذ كانت الحملة الأولى سنة 1516م، وقد تصدى لها عروج، وكان قائد تلك الحملة هو (دييغو دي فارا)، بينما كانت الحملة الاسبانية الثانية على الجزائر في سنة 1519م، وقد تصدى لها خير الدين بربروس، وكان قائد تلك الحملة هو (هوقو دي مونكاد)، بينما الحملة الاسبانية الثالثة كانت سنة 1520م، وكان يقودها نائب الامبراطور على صقلية (الأميرال فرديناند)، نلاحظ أن كل هذه الحملات الاسبانية باءت بالفشل بفضل الله عز وجل أولا، ثم بفضل روح الدفاع والجهاد التي كانت لدى المجاهدين ثانيا.

[6] حسن آغا كان على رأس حكومة الجزائر وخليفة خير الدين بربروس بعدما استدعي هذا الأخير من طرف السلطان العثماني سليمان القانوني كي يكون القائد العام للأسطول العثماني بإسطنبول، وترجع أصول حسن آغا من سردينيا، حيث أُسر وهو صغير، وقربه خير الدين اليه وجعله من حاشيته وعينه خليفة له.

شارلكان من الاستحواذ على كميات هائلة من الأسلحة الّتي خلّفها جيشه، عزّزت بها الجزائر قوّتها الدّفاعية، وبذلك استحقّت هذه الأخيرة لقب (الجزائر المحروسة)[1].

وبالرّغم من الفارق الرّهيب في العدد والعتاد بين الاسطول الاسباني الغازي والفرق الجزائرية المجاهدة إلاّ أنّ العناية الالهية شاءت أنْ يكون النّصر حليف المجاهدين الصابرين، مُحْتَسِبين قول الله تعالى: **{قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ}**[2] [البقرة:249]

وقد انتشرت أنباء هذه الهزيمة في مختلف أرجاء اسبانيا، فأحدثت صدمة كبيرة بين القادة العسكريين ورجال الدّين الذين رأوا في هذه الخسارة نكسة مُهينة لهيبة شارلكان ومملكته، إلاّ أنّ وقعها على الموريسكيين كان مؤثرا وعظيما، واعتبروا ذلك نصرا من عند الله، وقَوِيَ أملهم في إخوانهم، حتى أصبحت الجزائر في نظرهم سياجا لأهل الإسلام وعذابا لأهل الكفر والطغيان[3].

وبالفعل، فقد ازدادت جرأة بحّارة الجزائر وحكّامها الذين خلفوا خير الدين في الاغارة على السواحل الاسبانية تلبية لنداءات إخوانهم الموريسكيين، خاصة في عهد البايلرباي قلج علي[4] والذي حكم في فترة (1568_1571م) والذي ربَّى عددا من طائفة الرياس المجاهدين من من أمثال:

---

[1] حنيفي هلايلي، أبحاث ودراسات في التاريخ الاندلسي الموريسكي، دار الهدى، عين مليلة (الجزائر)، ط1، 2010م، ص26.

[2] لمعرفة تفاصيل حملة شارلكان على الجزائر أنظر: مولاي بلحميسي، غارة شارلكان الخامس على مدينة الجزائر (1541م/948هـ) بين المصادر الاسلامية والمصادر الغربية، مجلة الأصالة، العدد 8، 01 ماي 1972م، ص91-111.

[3] عبد الجليل التميمي، الدولة العثمانية وقضية الموريسكيين، مرجع سابق، ص34.

[4] ولد في إقليم (calabria) أقصى جنوب إيطاليا، في حوالي 1500م، ووقع أسيرا في قبضة البحارة الجزائريين وبعد اسلامه ترك كنيته النصرانية (لوقا قالياني) وسمّى نفسه علي، عين بايلر باي على الجزائر عام 1568م، وصادفت فترة حكمه ثورة الموريسكيين في اسبانيا، حيث دعمها بالسلاح والعتاد والأموال والرجال، وفي سنة 1571م قاد الأسطول الجزائري وتمكن من إنقاذه في معركة ليبانت، عينه السلطان سليم الثاني قائدا عاما للأسطول العثماني، استرجع تونس نهائيا من قبضة الاسبان 1574م، وتوفي رحمه الله عام 1587م. للمزيد من المعلومات حول شخصية علي قلج أنظر: النقيب تركي عبّاس، إضاءات حول شخصية بايلر باي الجزائر قليج علي 1568-1587م، مجلة الدراسات التاريخية العسكرية، المجلد02، العدد 04، جويلية 2020م، ص108-112.

حسن فنزيانو[1]، ومراد رايس[2]، ومصطفى الأرناؤوطي[3]، والريس مامي[4]، والريس جعفر[5]، وغيرهم من طائفة رياس البحر[6] ، هؤلاء الذين زرعوا الرعب والخوف في الشواطئ الاسبانية الاسبانية القريبة منهم طوال نصف قرن من الزمان[7]، قال الله تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ}**[التوبة: 123]

وبالرغم من اختلاف أصولهم، (أي طائفة الريّاس) إلاّ أنهم كانوا يشكّلون مجموعة قويّة متنفِّذة يوحّدها الوازع الدّيني الّذي هو جهاد الكفّار والنّصارى[8].

وقد تزامت فترة حكم قلّيج علي مع ثورة البشرات الثانية (1568_1571م) الّتي فجّرها مسلمو غرناطة نتيجة لسياسات التنكيل والتطهير العرقي التي كانت تنتهجها الحكومة الاسبانية ضدّهم[9]، إذْ تمّ التنسيق لهذه الثورة مع العلج علي، الّذي خصّص لهم سفنا تنقل تنقل لهم حاجاتهم من السّلاح، كما زوّدهم ببعض القادة، فأرسل لهم أربعة آلاف بُندقية

[1]أحد رياس البحر العظام، ترقى لرتبة بايلر باي وحكم الجزائر لفترتين منفصلتين، الأولى (1577-1580م)، والثانية: (1582-1589م)، ويَذْكُرُ شارل أندري جوليان أن حسن فنزيانو كان كاتبا في سفينة شراعية من البندقية، وقد أسره درغوث وباعه الى علج علي فخرج عن دينه ودخل الإسلام، أنظر: شارل أندري جوليان، مرجع سابق، 349/2.

[2]يعتبر من أشهر رياس البحر الجزائريين، خدم تحت قيادة قادة العلج علي، وهو أول من عبر مضيق جبل طارق من الرياس الجزائريين عام 1585م ودخل المحيط الأطلسي توفي سنة 1638م في معركة فنالونا، أنظر: نعيمة بوحمشوش، مرجع سابق، تهميش1، ص52.

[3]هو ثالث شخصية من الجماعة الألبانية مع مامي أرناؤوط ومراد رايس، وكان رجل ذو بأس ونفوذ، أنظر ترجمته: المنور مروش، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني، (القرصنة، الأساطير، الواقع)، دار القصبة للنشر، 278/2.

[4]أنظر ترجمته: المنور مروش، مرجع سابق، ص275-277.

[5]أنظر ترجمته: تحت مسمى جعفر جنويز في: المنور مروش، مرجع سابق، ص277.

[6]للاطلاع على أهم الحكام والرياس البحر الذين حكموا الجزائر خلال القرن ال16م، أنظر: نعيمة بوحمشوش، مرجع سابق، الملحق رقم 13 و14، ص303-305.

[7]سامح عزيز التر، مرجع سابق، ص229.

[8]أمين محرز، الجزائر في عهد الأغوات (1659-1671م)، البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، باب الزوار، الجزائر، 2013م، ص36.

[9]إضافة إلى ما ذكرناه في بداية البحث عن المعاناة االتي كابدها المرويسكيون، للاستزادة أنظر أيضا: عبد الله حمّادي، الموريسكيون ومحاكم التفتيش في الأندلس (1492-1616م)، دار التونسية للنشر، (تونس)، المؤسسة الوطنية للكتاب، (الجزائر)، 1989م.

بكامل ذخيرتها مع مجموعة من الجنود الانكشاريين بصفة ضباط كُلِّفُوا بقيادة مئات الجنود[1].

كما قام بالاتصال مع الباب العالي يلتمس منه الاعانة، لإدراكه أن مهمّة مساعدة الموريسكيين واسترجاع الأندلس لن تتمّ بدون أسطول عثماني وقوة برية عثمانية كبيرة[2]، إلاّ إلاّ أنّ السلطة المركزية باستنبول اكتفت بإرسال أمرين الى العلج علي باشا بتاريخ (10 ذي القعدة 977هـ/1569م) تطلُبُ منه تقديم المُؤَن والسّلاح وإرسال الجنود للاندلسيين بقدر المستطاع، كما قال الله تعالى في كتابه: **{وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ}**[الأنفال: 60]،كما تعهّدت (أي السلطة المركزية) بمساعدة الاندلسيين فور الانتهاء من فتح قبرص، وهو الأمر الذي لم يَتِم، فبالرغم من أنّ العثمانيين استطاعوا هزيمة البنادقة والاستيلاء على قبرص في 03 أوت 1570م، إلاّ أنّهم فيما بعد قد تكبّدوا هزيمة نكراء أدّت إلى تدمير أسطولهم البحري في معركة ليبانتو في 07 أكتوبر 1571م[3].

وفي ظلّ هذه العقيدة الجهادية المتواصلة استطاع حسن فنزيانو في فترة حكمه الثانية للجزائر عام 1584م، أن يُنقذ حوالي 2000 من مسلمي الأندلس كانوا يتعرضون لشتى أنواع التعذيب والاضطهاد في نواحي مدينة أليكانتي شرق الاندلس، وقد تزامن هذا نقل عدد من سكان كولونيا الى الجزائر على يد المجاهدين الجزائريين، كما شهدت سواحل لورقة وقرطاجنة في الفترة نفسها هجمات بحرية شنّها هؤلاء المجاهدون[4].

[1] سامح عزيز إلتر، مرجع سابق، ص227.

[2] جون بابتيست وولف، الجزائر وأوروبا (1500-1830م)، ترجمة: أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م، ص84-85.

[3] سامح عزيز التر، مرجع سابق، ص226.

[4] ناصر الدين سعيدوني، المهدي بوعبدلي، مرجع سابق، ص44.

ويمكننا أنْ نلاحظ أنّ من بين العوامل والأسباب التي ساعدت البحرية الجزائرية في عملياتها الجهادية ضدّ السواحل الأوروبية عامة والاسبانية خاصة، وإنقاذ الالاف من إخوانهم الموريسكيين هو امتلاك البحّارة الجزائريين لسفن نوعية تتميّز بخفتها وسرعة حركتها، وقدرتها على المناورة وهي من النوع: القاليوطات[1]، والبريكات[2]، والفرقاطات[3]، والباشترادات[4]، وحكدرر كمي[5]، والشينيات[6]، والفلوكات والسفن المستديرة وغيرها.[7]

ويشير "أندري جوليان" إلى أنّ طائفة الرياس كانت تملك عام 1558م، 35 سفينة شراعية، و25 مركبا شراعيا أو حرّاقة وعدد كبير من المراكب المعدة للجهاد البحري[8]، كما يُذْكَرُ أيضا أن أعلى تقدير لقطع البحرية الجزائرية يعود الى أواخر القرن 16م، أي حوالي سنة 1591م، حيث تشير بعض المصادر أن الاسطول الجزائري حينها كان يملك 75 قطعة بحرية من نوع الشينيات.[9]

---

[1] القاليوطات أو قاليون: عبارة عن سفن حربية شراعية من الحجم الكبير والتي تحتوي من 60 الى 120 مدفعا، ولها العديد من الأنواع، أنظر: سهيل صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1421ه/2000م، ص172.

[2] البريكات أو بريك: أسرع سفينة حربية شراعية ذات مستودع واحد وعمودين، أنظر: سهيل صابان، مرجع سابق، ص61، وأنظر أيضا: ناصر الدين سعيدوني، مرجع سابق، ص44.

[3] وهي من أكبر سفن الاسطول العثماني الشراعية، ذات المجاديف، كان يوجد على متنها ثمانون بحارا، بالإضافة الى قبطان وجميع طاقمها، ونظرا لسرعتها الفائقة كانت تقوم مقام الشرطة المتنقلة في حالة عدم وجودها مع الاسطول، أنظر: سهيل صابان، مرجع سابق، ص163.

[4] وهي نوع من السفن التي استخدمها العثمانيون قبل اكتشاف السفن الحربية، بها 26 الى 36 مقعدا ، ويجدف في كل من مجادفها من 5 الى 6 رجال، ويوجد في كل جهة منها 26 محلا للتجديف، أنظر: سهيل صابان، مرجع سابق، ص54.

[5] وهي سفن ذات أشرعة ومجاديف.

[6] تتميز بكونها طويلة وسريعة الحركة، سهلة التوجيه، تحتوي على صار واحد، وتسير بالاشعرة والمجاديف، ويترواح عدد مقاعدها ما بين 24 الى 28 ولكل مقعد مجدافان، أنظر: نعمية بوحمشوش، مرجع سابق، ص112-113.

[7] نعيمة حمشوش، مرجع سابق، ص114-115.

[8] شارل أندري جوليان، مرجع سابق، ج2، ص 335.

[9] نعيمة بوحمشوش، مرجع سابق، ص118.

6. خاتمة:

ومن خلال ما سبق يتّضح لنا أن نشاط البحرية الجزائرية خلال القرن 16م، منذ نشأتها الى غاية تطورها ونضجها، لم تكن مجرد قوّة عسكرية تسعى الى بسط النفوذ أو تحقيق مكاسب مادية، بل إنها ارتبطت ارتباطا وثيقا بالجهاد في سبيل الله، حيث شكّل الجهاد إطارها الفكري والروحي، ومنه استمدت هذه البحرية مشروعية نشاطها، حيث اقترن تاريخها بالدّفاع عن ديار الإسلام وحماية المسلمين وردّ الاعتداءات الصليبية ومدّ يد العون للمسلمين المضطهدين في الأندلس، ونقل أعداد كبيرة منهم الى الضفة الجنوبية للمتوسط، وقد مثّلت هذه العمليات التي قامت بها السفن الجزائرية ورجالها في إنقاذ الموريسكيين صفحات مضيئة في تاريخ الحضارة الإسلامية عموما، وبالخصوص تاريخ الجهاد البحري الإسلامي، إذْ عكست الايمان العميق والرّوح الجهادية التي سعى من خلالها المجاهدون لنيل إحدى الحسنيين، النصر على الأعداء أو الشهادة في سبيل الله، ولعلّ هذا ما عبّر عنه خير الدين بروبروس في مذكراته بقوله "إذا كان الموت نهاية كل حيّ، فليكن في سبيل الله".

.

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم
- ابن قيم الجوزية، الفوائد، تحقيق: محمد عزيز شمس، مكة المكرمة، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع.
- ابن حجر العسقلاني، هداية الرواة إلى تخريج أحاديث المصابيح والمشكاة، تخريج: محمد ناصر الدين الالباني، تحقيق: علي الحلبي، ط1، القاهرة، دار ابن عفان، 1422ه/2001م.
- ابن دقيق العيد، شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية، ط6، بيروت، مؤسسة ريان، 1424ه/2003م.
- أحمد بن حنبل، مسند الامام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، ط1، بيروت، مؤسسة الرسالة،1421ه/2001م.
- أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار صادر، 1408ه/1988م.
- أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا (1492-1792م)، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
- أحمد رائف، وتذكروا من الاندلس الإبادة، ديوان المطبوعات الجامعية: 04-91
- أمين محرز، الجزائر في عهد الآغوات (1659-1671م)، باب الزوار (الجزائر)، البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، 2013م.
- بسام العسلي، خير الدين بربروس والجهاد في البحر (1470-1547م)، ط1، بيروت، دار النفائس، 1400ه/1980م.
- بشير مبارك، "الحروب الصليبية على العالم الإسلامي: حركة الاسترداد في الأندلس نموذجا وأثرها على المغرب الأوسط"، مجلة العبر للدراسات التاريخية والاثرية في شمال افريقيا، المركز الجامعي عبد الله مرسي تيبازة، المجلد 05، العدد 03، جوان 2022م.
- بوشنافي محمد، مساهمة عروج بن يعقوب في مواجهة الخطر الاسباني على المغرب الأوسط (1512-1518م)، مجلة عصور، العدد 5/4، ديسمبر 2003م/ جوان 2004م/ 1424/1425ه.
- تاريخ الجزائر العام، عبد الرحمان الجيلالي، ديوان المطبوعات الجامعية، ط7، الجزائر، الساحة المركزية بن عكنون، 1415ه/1994م.
- جلال الدين السيوطي، الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- جمال عبد الكريم، الموريسكيون تاريخهم وآدابهم، جامعة القاهرة، قسم اللغة الاسبانية وآدابها، مكتبة نهضة الشرق.
- جوزيف ماك كيب، مدنية المسلمين في اسبانيا، ترجمة: محمد تقي الدين الهلالي، ط2، الرباط، مكتبة المعرف للنشر والتوزيع، 1405ه/1985م.

- جوستاف لوبون، حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتر، القاهرة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.
- جون بابتيست وولف، الجزائر وأوروبا (1500-1830م)، ترجمة: أبو القاسم سعد الله، الجزائر، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، 2009م.
- حاجي خليفة، تحفة الكبار في اسفار البحار، تحقيق وترجمة: محمد حرب وتسنيم حرب، ط1، القاهرة، دار البشير للثقافة والعلوم، 1438ه/2017م.
- حسن عز الدين الجمل، مخطوطة الجمل معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2003م.
- حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والاندلس، ط4، القاهرة، دار الرشاد، 1421ه/2000م.
- حنيفي هلايلي، أبحاث ودراسات في التاريخ الاندلسي الموريسكي، ط1، عين مليلة (الجزائر)، دار الهدى، 2010م.
- حنيفي هلايلي، بنية الجيش الجزائري خلال العهد العثماني، ط1، عين مليلة (الجزائر)، دار الهدي، 1428ه/2007م.
- خليل براهيم السمرائي وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الاندلس، ط1، بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة، 2000م.
- راغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: محمد سيد كيلاني، ط6، بيروت، دار المعرفة.
- راغب السرجاني، قصة الأندلس من الفتح إلى السقوط، ط1، القاهرة، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، 1432ه/2011م.
- سعيد بن علي بن وهف القحطاني، الجهاد في سبيل الله في ضوء الكتاب والسنة، الرياض، مؤسسة الجريسي، 1431ه..
- سليمان بن احمد الطبراني، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط2، القاهرة، مكتبة ابن تيمية.
- سهيل صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، 1421ه/2000م.
- سي عبد القادر عمر، التضامن العثماني مع مسلمي الأندلس، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال افريقيا، المجلد 06، العدد 02، جوان 2023م.
- شارل أندري جوليان، تاريخ افريقيا الشمالية، ترجمة: محمد مزال والبشير بن سلامة، ط4، تونس، الدار التونسية للنشر، فيفري 1983م.
- صالح فركوس، المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفينيقيين الى خروج الفرنسيين (814 ق.م-1962م)، عنابة، دار العلوم للنشر والتوزيع، 1423ه/2002م.
- عبد الجليل التميمي، الدولة العثمانية وقضية الموريسكيين الأندلسيين، ط1، تونس، مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات، 1981م.
- عبد الجليل التميمي، رسالة من مسلمي غرناطة الى السلطان سليمان القانوني 1541م، المجلة التاريخية المغربية، العدد 3، تونس، جويلية 1975م.
- عبد الحميد بن أشنهو، دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر، الجزائر، دار الطباعة الشعبية للجيش، 1392ه/1972م.

- عبد الرحمان علي الحجي، التاريخ الاندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة (92-897هـ/711-1492م)، ط2، دمشق -بيروت، دار القلم، 1402هـ/1981م.
- عبد الرؤوف بن المناوي، التوقيف على مهمة التعاريف، تحقيق: عبد الحميد صالح حمدان، ط1، القاهرة، عالم الكتب، 28 عبد الخالق ثروت، 1410هـ/1990م.
- عبد العزيز محمد الشناوي، الدولة العثمانية (دولة إسلامية مفترى عليها)، القاهرة، مكتبة أنجلو المصرية.
- عبد الله حمّادي، الموريسكيون ومحاكم التفتيش في الأندلس (1492-1616م)، دار التونسية للنشر، (تونس)، المؤسسة الوطنية للكتاب، (الجزائر)، 1989م.
- عبد الله محمد جمال الدين، المسلمون المنصَّرون أو المورسكيون الاندلسيون، ط1، القاهرة، دار الصحوة للنشر والتوزيع، 1991م.
- عزيز سامح التر، الاتراك العثمانيون في افريقيا الشمالية، ترجمة: محمود علي عامر، ط1، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1409هـ/1989م.
- علي آجقو، الدولة الجزائرية الأولى (pea) 1514-1830م دراسة مؤسساتية، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية لجامعة باتنة، العدد 02، 1994م.
- علي مظهر، محاكم التفتيش في اسبانيا والبرتغال وغيرها، المكتبة العلمية.
- علي منتصر الكتاني، انبعاث الإسلام في الاندلس، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 2005م.
- فرنان بروديل، المتوسط والعالم المتوسطي في عهد فيليب الثاني، ترجمة: مروان أبي سمرا، ط1، بيروت، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، 1413هـ/1993م.
- فريق البحوث والدراسات الإسلامية (فدا)، الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي، تقديم: راغب السرجاني، ط27، القاهرة، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، 2014م.
- قاسم عبد سعدون الحسيني، "حركة الاسترداد (الريكونيكيستا) قراءة في المصطلح والمضمون"، جمهورية العراق، جامعة ميسان/ كلية الاسبانية التربية/ قسم التاريخ، المجلد 02، العدد 05، مارس2020.
- كلوس كريزر وبخرون، معجم العالم الإسلامي، ترجمة: الدكتور ج كتورة، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1411هـ/1991م.
- كمال بن صحراوي، معجم المقاومة الجزائرية (منذ بداية الاحتلال الفرنسي حتى منتصف القرن 19م)، ط1، قسنطينة، منشورات الفا للوثائق، 2020م.
- لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، شرحه وضبطه: يوسف علي طويل، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1424هـ/2003م.
- محمد بن اياس الحنفي، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق: محمد مصطفى، ط1، القاهرة، دار احياء الكتب العربية، 1406هـ/1986م.
- محمد بن صالح العثيمين، الشرح الممتع على زاد المستقنع، ط1، السعودية، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، 1425هـ.
- محمد حسن العيدروس، العصر الأندلسي خروج العرب من الأندلس (التطهير العرقي وجرائم الإبادة الجماعية ضد المسلمين في إسبانيا)، ط1ن القاهرة، دار العيدروس للكتاب الحديث موسوعة اسبانيا الإسلامية، 1433هـ/2012م.

- محمد درّاج، الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس (1512-1543م)، ط1، الجزائر، دار قرطبة للنشر والتوزيع، 1436هـ/2015م.
- محمد رزوق، الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين (16-17م)، ط3، الرباط، كلية الأداب والعلوم الإنسانية، إفريقيا الشرق، 1998م.
- محمد سعيد رمضان البوطي، الجهاد في الإسلام كيف نفهمه وكيف نمارسه؟، ط1، بيروت، دار الفكر المعاصر، دمشق، دار الفكر، 1414هـ/1993م.
- محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الاندلس (العصر الرابع: نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنصرين)، ط4، القاهرة، مكتبة الخانجي،1417هـ/1998م.
- مذكرات خير الدين بربروس، ترجمة: محمد درّاج، ط2، الجزائر، دار طليطلة للنشر والتوزيع، 1436هـ/2015م.
- مركز تفسير للدراسات القرآنية، موسوعة التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، باب الجهاد.
- المقّري، أزهار الرياض في أخبار عياض، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1358هـ/1939م.
- المنور مروش، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني، (القرصنة، الأساطير، الواقع)، الجزائر، دار القصبة للنشر.
- موسى بن احمد الحجّاوي، زاد المستقنع في اختصار المقنع، تحقيق: محمد الهبدان، ط2، السعودية، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، 1428هـ.
- مولاي بلحميسي، غارة شارلكان الخامس على مدينة الجزائر (1541م/948هـ) بين المصادر الاسلامية والمصادر الغربية، مجلة الأصالة، العدد 8، 01 ماي 1972م.
- مؤلف مجهول، نبذة العصر في أخبار ملوك بني النصر، ضبطه وعلق عليه: ألفريد البستاني، ط1، بور سعيد الظاهر، مكتبة الثقافة الدينية، 1423هـ/2002م.
- مونتغمري وات، في تاريخ اسبانيا الإسلامية، ترجمة: محمد رضا المصري، ط2، بيروت، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، 1998م.
- ناصر الدين سعيدوني، المهدي بوعبدلي، الجزائر في التاريخ (العهد العثماني)، الجزائر، وزارة الثقافة والسياحة، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984م.
- نعيمة بوحمشوش، مساهمة البحرية الجزائرية في الحروب العثمانية خلال القرن السادس عشر، وزارة الثقافة الجزائر، القافلة للنشر والتوزيع، 2015م.
- النقيب تركي عبّاس، إضاءات حول شخصية بايلر باي الجزائر قليج علي 1568-1587م، مجلة الدراسات التاريخية العسكرية، المجلد02، العدد 04، جويلية 2020م.
- نيقولاي ايفانوف، الفتح العثماني للأقطار العربية (1516-1574م)، ترجمة: يوسف عطا الله، ط1، بيروت، دار الفارابي، 1988م.
- يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1995م.
- يحي بوعزيز، تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، وزارة الثقافة، الجزائر عاصمة الثقافة العربية 2007م.